استلهام قصة مريم (عليها السلام) في الشعر النجفي المعاصر

م.م. نيان حسين عبد الله
كلية طب الاسنان / جامعة الكوفة
niyanh.alshimary@uokufa.edu.iq

مستخلص البحث:
اثر القران الكريم كثيرا في الشعراء وقد بدا هذا التأثير منذ نزوله الى يومنا هذا الا ان عمليه الاقتباس من النص القرآني كانت تتباين بحسب ثقافة الشاعر والبيئة التي يعيش فيها ، وتعد القصة القرآنية من اكثر المواضيع الشعرية التي استهوت الشعراء وحالوا الافادة منها بمختلف الصور الشعرية ، وبحثنا يتناول قصة مريم العذراء عليها السلام وتأثيرها في الشعر النجفي المعاصر ، فقد افاد الشعراء من القصة عن طريق التناص الاشاري وذلك بتضمين المعاني القرآنية التي حوت عليها في قصائدهم وقد كانت لدى الشعراء غايت ومنها تجسيد مضمون الصبر والارادة وتحمل الالم في شخصية مريم العذراء ، فضلا عن هذا افاد الشعراء من الجوانب الفنية في القصة ، لينعكس ذلك في قصائدهم بإنتاج صور فنيّة تمتاز بالجدة والابتكار .

الكلمات المفتاحيّة : القصّة القرآنية ، مريم (عليها السلام) ، الشعر النجفي المعاصر .

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبي الرحمة الصادق الامين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وبعد ...

يعد النص القرآني من اكثر النصوص تأثيرا في الشعر الحديث فهو النص المعجز والمهيمن على المشهد الثقافي في كل العصور لما يمتلكه من قدرات ،اعجزت بلغاء العرب ومنعتهم من الاتيان بسورة من مثله ، وتعد القصة القرآنية من اكثر فنون القول تأثيرا في الخطاب الادبي ، لأنها فن امتاز ببلاغته العالية واهادفه النبيلة ، فالغاية منها تتمثل في الفائدة العظيمة التي ينشدها القصص القرآني من اصلاح المجتمع ، واخذ العبرة والاعتبار ، وهي طريق من طرق الاصلاح والارشاد التربوي ، لأنها تكون محببة الى النفس وتشد المتلقي لتأخذه في عوالم جذّابة تسحر القلوب والعقول ، ومن بين تلك القصص نجد قصة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) فهي تقع في قلب التاريخ والإيمان، اذ تتربع قصة مريم العذراء كمنارة روحية وإنسانية ، تشع بنور الطهارة والصبر والأمومة المقدسة ، هذه القصة الفريدة ، التي تحتل مكانة مرموقة في الديانات السماوية والفنون على مرّ العصور، لم تفتن قلوب المؤمنين فحسب ، بل ألهمت أيضًا قواميس الشعراء وأقلامهم ،ومن هنا تأتي إشكالية البحث: كيف استثمر الشعر النجفي المعاصر قصة مريم ، وما الدلالات الفنية والرمزية التي أضافتها هذه القصة للنص الشعري؟ وكيف استطاعت هذه السيرة العطرة أن تستنطق إبداع شعراء النجف الاشرف وان تثير فيهم ينابيع الشعر؟ وكيف تجلّت معانيها العميقة في أبياتهم وقصائدهم ؟ وفي هذه الرحلة القصيرة من البحث ، سنستكشف كيف ألهمت قصة مريم شعراءً من بيئة النجف يتقاربون في الخلفيّات الثقافيّة ، لنكتشف كيف نسجوا من خيوطها الذهبية أروع اللوحات الشعرية ، ومن هنا فان البحث يهدف الى بيان تأثير القرآن الكريم في الأدب عامة والشعر النجفي خاصة ويهدف البحث الى تحليل المضامين الفنية التي افادها الشعر عن طريق استلهام القصة القرآنية .

اما عن الاسباب التي دفعتني الى دراسة هذا الموضوع فهي قلّة الدراسات التي تربط بين القصص القرآني والشعر النجفي ، وخاصة ما يتعلق بقصة مريم العذراء (عليها السلام) ، فضلا عن رغبتي في بيان الوجوه الجماليّة الناتجة من توظيف القصة الشريفة في الشعر ورمزية ذلك التوظيف

وفيما يتعلق بالمنهج المتبع في دراسة البحث فقد اتبعت فيه المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك بعد جمع المادة الشعرية بالرجوع الى دواوين الشعراء ومن ثم فرز المادة بحسب توظيف الشعراء لها ، ومن الجدير بالذكر ان مصادر الدراسة قد تنوعت بين كتب الشعر والدراسات النقدية والبلاغية ، لغرض الوصول الى نتائج تصب في مصلحة البحث الاكاديمي ، ومن ثم رفد المكتبة العربية بدراسة ادبية تضاف الى الدراسات النقدية التي تسلط الضوء على مرحلة من مراحل الشعر العراقي المعاصر

التمهيد :مفهوم القصص القرآني وأثره في الشعر النجفي

التعريف : القصة في اللغة

اشتق معنى القصة من الفعل (قصصَ) فقد ورد في لسان العرب " قصصَت الشّيء: اذا تتبعت اثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) اي اتبعي اثره " [1]

اما في الاصطلاح فيعرف القصص القرآني على انّه " ما يطلق على تلك الانباء التي عرضها القرآن الكريم ، اذ ان ذلك اشبه بقص اثر الشيء وتتبعه ثم الوقوف عليه بذاته على صورته او ما يشبه صورته "[2] ، وعرّفه بعض الدارسين بانه " وسيلة للتعبير عن الحياة او قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة ، او عددا من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب ان تكون لها بداية ونهاية " [3]

من هنا يتبين لنا الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فكلاهما يجتمعان على معنى الجمع بين الاحداث بطريقة المتابعة للوصول الى النهاية التي تدلل على غرض معين بحسب طبيعة وغاية القصة .

الخصائص :

امتاز القصص القرآني بالأداء المعجز الفريد من نوعه بسبب توافره على عنصر الصدق والتكثيف البليغ وطريقة العرض التي ادهشت العقول فضلا عن انسجامها الشديد مع غرض القرآن الكريم والغاية التي ذكرت من اجلها القصة القرآنية المتمثلة بالدعوة الى عبادة الخالق الاوحد وتجسيد قيم الفضيلة والتربية السليمة كل ذلك يشتمل عليه القصص القرآني " حتى صار الابداع سمة تلازم القصص القرآني فقد حوت القصة على التناسق الفني الذي يظهر واضحا في تنوع طريقة عرض القصة وفي تنوع طريقة المفاجأة التي ترسمها الصور القصصية" [4]

الاغراض :

لقد اراد الله عزّ وجلّ ان يبين من خلال القصة انه قادر على ان ينصر انبيائه ورسله والذين آمنوا ويرحمهم وينجيهم من كل شدة وكرب يقعون فيها ، ومن الاغراض الاخرى التي يهدف اليها القصص نذكر غرض الدعوة الى الدين الاسلامي فصارت القصة وسيلة من وسائل الدعوة ، ويعد غرض الاعتبار بالأمم السالفة ، والافادة من الاحداث التي يسردها النص القرآني ، لغرض اخذ العبرة وعدم تكرار الاخطاء والسير بالطريق الصحيح ، وانّ النبوة من الله عز وجل ، لذا كان الاعجاز القرآني يتمثل في واحد من الوجوه بالإخبار عن احداث الامم السابقة بطريقة القص المعجز[5] ،وتنقسم غاية القصة القرآنية الى غاية عقدية وذلك باستعمال القصة القرآنية برهانا على صدق نبوة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وغاية تربوية يتم عن طريقها تربية المسلمين على الصفات الحميدة والنبيلة والاقتداء بالأنبياء[6] .

قصة مريم (عليها السلام) :

قصة مريم العذراء في القرآن الكريم قصة فريدة ومؤثرة ، فهي المرأة الوحيدة التي ذكرت باسمها في القرآن الكريم ، وتحظى بمكانة عظيمة واحترام كبيرين ، والقرآن الكريم يعطينا صورة واضحة من خلال قصتها كما وردت في كتاب الله عزّ وجلّ :

النشأة والاصطفاء:

تبدأ قصتها بذكر والدتها ، امرأة عمران، التي نذرت ما في بطنها خالصًا لله، وعندما وضعت أنثى، تحسرت ظنًا منها أن الأنثى أضعف من أن تخدم بيت المقدس، ولكن الله تعالى قبل نذرها وأنبأها بأن ما ولدته سيكون مباركًا، سمّتها مريم وأعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم.

نشأت مريم نشأة طيبة ، وكفلها النبي زكريا (عليه السلام)، ويذكر القرآن الكريم كرامة عظيمة خصّها الله بها في صغرها، وهي أن زكريا كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا لم يأتها به أحد، فيسألها : (يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[7]. هذا يدل على طهرها وقربها من الله سبحانه وتعالى .

البشارة بالمعجزة:

بلغت مريم العذراء مرحلة الشباب وهي عابدة ناسكة ، فتمثّل لها جبريل (عليه السلام) بشرًا سويًا، فخافت منه واستعاذت بالله منه ، فأخبرها بأنه رسول من ربها ليبشرها بغلام زكي ، استغربت مريم (عليها السلام) كيف يكون لها غلام ولم يمسسها بشر، ولم تكن بغيًا ، فأجابها جبريل(عليه السلام) بأن ذلك أمر الله، وأنه سيكون آية للناس ورحمة منه سبحانه وتعالى اي إن الله تعالى أرسل إليها الروح وهي محتجبة فتمثل لها بشرا سويا وذكر لها أنه رسول من ربها ليهب لها بإذن الله ولدا من غير أب وبشرها بما سيظهر من ولدها من المعجزات الباهرة وأخبرها أن الله سيؤيده بروح القدس ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل [8] .

ميلاد عيسى (عليه السلام):

شاءت قدرة الله عزّ وجلّ أن تحمل مريم بعيسى (عليه السلام) وهي عذراء، وبعد مدة الحمل ، التجأت إلى مكان قصي، وأصابها المخاض عند جذع نخلة وبعد ان اشتد بها الألم وتمنت الموت قبل هذا الحدث العظيم، فناداها جبريل(عليه السلام) من تحتها ألا تحزن ، وأن الله قد جعل تحتها سريًا (جدول ماء)، وأمرها أن تهز جذع النخلة ليساقط عليها رطبًا جنيًا ، وأمرها أن تأكل وتشرب وتقر عينًا، وإذا رأت بشرًا أن تشير إليه إشارة بأنها نذرت صومًا لله ولن تكلم اليوم إنسيًا.

مواجهة المجتمع:

عادت مريم إلى قومها تحمل وليدها، فاستنكروا فعلتها واتهموها بالفاحشة، كما ورد في قوله تعالى : (يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) [9]. هنا تجلت معجزة أخرى، فقد أنطق الله عيسى (عليه السلام) وهو رضيع، فدافع عن أمه وكما ذكره البارئ عز وجل في قوله تعالى : (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[10].

مكانتها في القرآن:

يذكر القرآن الكريم مريم العذراء في مواضع عديدة، ويشيد بطهرها وعفتها وإيمانها، وقد خصصت سورة كاملة في القرآن باسمها، وهي سورة مريم ، تحكي تفاصيل قصتها وولادة عيسى (عليه السلام) ويعتبرها المسلمون من أفضل نساء العالمين، ويذكرونها بالتبجيل والاحترام ،ويحق لنا القول ان شخصية مريم العذراء في القرآن الكريم هي رمز للطهر والعفة والتقوى، وهي امرأة اصطفاها الله واختصها بمعجزة عظيمة ، وهي ولادة نبي الله عيسى (عليه السلام) من غير أب، وقصتها تحمل الكثير من العبر والمعاني حول قدرة الله ورحمته واختياره لمن يشاء من عباده وهو القادر على كل شيء ، لقد قدم القرآن عن طريق قصة مريم عليها السلام نموذجا غنيا في الاساليب التربوية اراد من خلاله ان يقدم الموعظة والارشاد خاصة اذا عرفنا ان " القصّة القرآنية برغم قلة الالفاظ المستعملة في ادائها ، حافلة بكل انواع التعبير ، والعناصر الادبية ، من حوار الى سرد ، الى

تنغيم ايقاعي ، الى احياء للشخوص ، الى دقة في رسم الملامح ، ادركنا مدى سحر هذا الاعجاز الفني الناشئ عن القصّة القرآنية " [11] .والمباحث الاتية تبين الاثر الذي تركته قصة مريم في الشعر النجفي وتبين آلية توظيف الشعراء لها وكما يلي :

المبحث الاول : الاثر الموضوعي

استطاع شعراء النجف ان يستلهموا قصة مريم (عليها السلام) في قصائدهم إذ استُعملت قصة مريم العذراء (عليها السلام) كرمز غنيٍّ يحمل دلالات متعددة، تعكس همومًا اجتماعية وسياسية ووجودية، ومن أبرز الموضوعات التي أثارها الشعراء النجفيون من خلال هذه القصة نذكر الآتي :

1- المعاناة والألم الإنساني :

ربط الشعراء بين آلام مريم (عليها السلام) أثناء الولادة والمعاناة الجماعيّة للشعب العراقي، خاصة في فترات الحروب والاضطرابات والمحن التي مر بها العراق والمعاناة التي عاشها الشعب المظلوم ومن الامثلة على ذلك قول الشاعر اسمعيل الحسيني في قصيدة تحمل العنوان () جاء فيها :

انا المعبّدُ بالخيبات منزوياً
أرثي العراق وكلُّ الميّتين انا
يا طهّر مريم
لم تمسسكَ نزوتهم يوماً
ولكنّ نخلَ الحاكمين زنا
ويسألونك عن رأسي
قل : اشتعلت به الفصولُ
وساقى ربَّه مِحنا
قل : ان دجلةَ امٌّ للحقولِ
بكت من خنجرٍ
لمْ يدعْ في ثديها لبنا [12]

لقد استطاع الشاعر بحنكته الفنيّة واسلوبه وبراعته في ايجاد علاقات جديدة بين الالفاظ الشعرية ، وان يوظف شخصيّة مريم العذراء (عليها السلام) بطريقة الرمز والايحاء ، فصار رثاء العراق وكل الميتين في اشارة الى حجم الالم والمآسي التي مرّت عليه الا هذا الامر زاده طهرا بدليل ان الشاعر اقتبس تلك الصفة من مريم (عليها السلام) ومن ثم راح الشاعر يجسد العذاب الذي اشار اليه بالشيب مستفيدا من الآية القرآنية في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)[13] فالشاعر اراد ان يصور حجم الضعف وذهاب القوة فاستعان بالوصف القرآني الدقيق ، ويستمر الشاعر في عرض محنته وآلامه وشكواه حتى انه قلب المعادلة وكسر افق التوقع عند المتلقي عندما ظهرت دجلة وهي رمز للخير والنماء وهي تبكي من خنجر غادر اصاب خاصرتها ولم يدع في ثديها لبنا ، وهو تعبير مشبع بالحزن، لقد استطاع شاعرنا ان يجعل من النصوص القرآنية التي انصهرت معانيها داخل نصة الشعري رافدا من ابرز " الروافد التي تغذي البنية الوجدانية والفضاء الدلالي في التجربة الشعريّة وآلية التلقي "[14].

2- الطهارة الروحيّة والعفاف :

لجأ شعراء النجف الى استلهام شخصية مريم العذراء (عليها السلام) في الحديث عن طهارة مريم كنقيض للفساد السياسي في العراق ، خاصة في شعر العصر الحديث بعد ان شاع ذكر الفساد في مفاصل الدولة ، وصار الناس يشتكون من تدهور الامور السياسية والاجتماعية بسبب تسلط طبقة حاكمة لا تفكر بمصلحة البلد انما كل همها هو نهب الثروات بطرق غير مشروعة ، مما دفع الشعراء

الى التصدي لهذه الظاهرة وكتابة قصائد تحمل رمزية كبيرة في التعريض بالمفسدين ومن الامثلة على ذلك قول الشاعر مهدي النهيري في قصيدة تحمل عنوان (آية المؤمنات) جاء فيها:
الى خديجة الكبرى (عليها السلام)

يداك وعيناك الكبرياءُ
صليب به مريمٌ والنساءُ
تُجدّدُ ايمانها بالنخيل
تهزُّ به فيطيح الحياءُ
فتلبس جلبابه كي تعيش
مطهّرة ما استبيح الرداءُ
خديجة يا آية المؤمناتِ
ويا كعبة طاف بها البهاءُ
احقًا يدُ المصطفى في يديك؟
اذا يا خديجةُ انتِ السماءُ
وانت المدى خطّ فيه النبيُّ
مصاحفهُ وهي آيُ وماءُ (15)

لقد استطاع الشاعر ان يجمع بين شخصيتان تحملان بعدا كبيرا في الموروث الديني ، تتمثل الشخصية الاولى بالسيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) والشخصية الثانية هي شخصية مريم العذراء (عليها السلام) ، وهنا يتجلى الكبرياء في يد خديجة الكبرى ليصبح صليبا عند مريم ، ويأتي استعمال الصليب كرمز للسيد المسيح (عليه السلام) والشاعر هنا يكثف استعمال الرموز الدينية في اشارة واضحة الى ان الدين يمتد ولا يحكمه زمان او مكان وان العلاقة تكون ترابطيه مبنية على قيم النبوة التي تمثلت في شخص نبينا محمد وآل بيته عليهم السلام ، ويلحظ المتلقي لهذه القصيدة وجود موازنة ضمنية بين تلك الشخصيات يظهر الشاعر عن طريقها قدرته على التقاط الاشارات القرآنية وتوظيفها بطريقة ذكية في مضمون النص ، وهو يستعين باللمحة الدالة بسبب طبيعة القصيدة فهو يميل هنا الى التناص الاشاري بالإفادة من معنى قوله تعالى: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)(16)

فالشاعر يجعل من شخصية مريم رمزًا مطلقًا للطهارة والعفاف في قصيدته ، فهو يستعير اسمها وصورتها للدلالة على النقاء الروحي والأخلاقي ، فالسيدة مرين العذراء تتحول عند الشاعر الى رمز للإنسانية بمعناها البعيد فهي تمثل المعاناة مع الصمود بوجه المصاعب حتى صارت الامل الذي يواجه الظلم والتحديات.

ومن الامثلة الاخرى التي تجسد الطهارة والعفة والتي استقاها الشعراء من قصة مريم (عليها السلام) قول الشاعر كاظم عنوز :

سأبكي البراءة ...
سأبكي الطفولة .. سأبكي الالم
ففيك اشمُّ براءة مريم
في طهر ادريس (17)

فالشاعر هنا يفصح عن بكاءه على البراءة والطفولة والالم الذي تجسد في شخصية مريم العذراء وهو كذلك يقتبس من قوله تعالى : (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ)(18) لقد اخذ الشاعر صفة الطهر والقداسة والذي عرف بزهده وطاعته للخالق وعلمه الواسع وصبره الجميل ، فالشاعر استطاع ان يجمع تلك الرموز الدينية على الرغم من قصر المقطع الشعري ليدلل على اكتناز الشخصية وقدرتها على احداث الاستجابة المطلوبة .

3- القوة والصبر :

تمثل شخصية مريم العذراء (عليها السلام) رمزا للقوة والتحدي لهذا راح شعراء النجف يفيدون من هذه السمات التي امتلكتها تلك الشخصية العظيمة التي اصطفاها رب العزة والجبروت سبحانه وتعالى ، فهي على الرغم من الظروف الاستثنائية التي واجهتها ، أظهرت مريم قوة داخلية وصبرًا عظيمًا، ومن الشواهد على ذلك قول الشاعر ضرغام البرقعاوي في قصيدة تحمل عنوان (يا نخلة الشعر) جاء فيها :

يا نخلة الشعر لا تُصغي الى المطر
كُلُّ العذوق هَززناها بلا ثمر
كوني كمئذنةٍ قالت لمريمها
عيساكِ مُنتظراً ما زالَ فانتظري
قومي احمليه وصلّي في مغارتهِ
زيتونةٌ أينعت بالآي والسّور [19]

وتتمثل قيمة القوة والصبر في اختيار الشاعر للنخلة للتعبير عن هذه السمة ، فالنخلة لها دلالات كثيرة في الموروث الديني فهي ترتبط عادة بالمقدس الديني ولاسيما شخصية مريم عليها السلام ، وهذا الامر مكن الشاعر أن يستلهم القوة والصبر ، واصفًا تحملها للمسؤولية والافتراءات بصمود وثبات قلّ نظيره ، ويتبين من تأثر الشاعر بقصة مريم ان لها اثر كبير في رفع الروح المعنوية في مواجهة صعاب الحياة ومن ثم تزويد المتلقي بالإيمان ان طريق الخير يحتاج الى مكابدة وانه ليس سهلا فكثيرا ما يمر بمراحل صعبة ، ويربط الشاعر بين صبر مريم عليها السلام وبين عيسى عليه السلام فحاله كحال العذراء في الانتظار للوصول الى يوم الخلاص الذي يسود فيه العدل ويتلاشى فيه الظلم والعدوان ، خاصة اذا عرفنا ان القصة في القرآن قد روت اخبار الامم السالفة ، وقدمت حقائق الإيمان الى العقل والقلب والشعور ، على نحو مثير لعواطف الخير وصارف لنوازع الشر [20].

المبحث الثاني:

الاثر الفني

تعدى تأثير قصة السيدة مريم (عليها السلام) الجانب الموضوع ليصل الى الجانب الفني ، وهو اثر جدا مهم لأننا عن طريقه نستطيع ان نقف على الجوانب الجماليّة في توظيف القصة القرآنية ، وهذا الامر يتطلب من الشعراء امكانية فنيّة عالية حتى يستطيع الشاعر ان يستلهم القصة القرآنية بما يتناسب مع افكارهم ومشاعرهم نحو المواقف التي يمرون بها مع الاخذ بالحسبان الاثر الفعال في المتلقي ولعل من اهم المظاهر الفنيّة التي لاحظها البحث نذكر الآتي :

1- الصورة الفنيّة :

يتمتع التصور الشعري بمكانة مهمة في العملية الشعرية وذلك لأنّ " قوّة الشعر تتجلّى في عبقرية التصوير الذي يمتلك من الإمكانات الفنية القدرة على رسم ابعاد التجربة الشعورية والإيحاء بضلالها "[21] ، وبما ان الشاعر النجفي كان يتكأ على قصة مريم عليها السلام في استنباط صورته الشعرية لذا امدته القصة بالكثير من العناصر والمقومات التي ساعدته على ايجاد صورة فنيّة تتخذ من الايحاء المعبر وسيلة لها للبلوغ الى غاية الشاعر ومراده ، وربما كان الشاعر يعتقد ان اسلوب الايحاء اكثر بلاغة وتأثيرا من الاسلوب الذي يعتمد على التصريح ، ومن الامثلة على ذلك قصيدة للشاعر قاسم الشمري عنونها بـ (قدحةُ برقٍ) ورد فيها :

غارقٌ كاليتيمِ في عمق دمعهْ
ترشفُ الليلَ جرعةً اثر جرعهْ
قلبك الطفلُ مريمُ دون جذعِ

او بجذع إن هُزَّ ينزفُ لوعهْ
ايّها المبتلي بارثِ جبالٍ
ايَّ عصفٍ تردُّ يا عزمَ شمعهْ ؟ (22)

نلاحظ ان الشاعر يستند الى اسلوب التشبيه في خلق صورته الشعرية ، وفي اكثر من موضع ، ومن تشبيهاته انه اوجد علاقة تشبيهية بين ذاته وبين اليتيم عن طريق استعمال اداة التشبيه الكاف ، ليعبر عن شدّة الحزن واللوعة وان هذا اليتيم لا تفارقه دمعته ، لقد اراد الشاعر ان يزيد من كمية الحزن فذكر عناصره الاساسية بطريقة اللمحة الدالة ، اما التشبيه الثاني الذي اوجده الشاعر فيتمثل في استدعاء شخصية مريم العذراء ، ليتخذ منها اداة رئيسة في خلق صورة معبرة مخاطبا قلبه وهو كالطفل وهي صورة مركبة يقابلها صورة مركبة (مريم دون جذع) ولك ان تتخيل حجم الالم والمعاناة في تلك الصورة ، والشاعر استغنى عن اداة التشبيه كي يولد قناعة عند المتلقي ان هذه الصورة متلاحمة الاجزاء فهو اذا تشبيه بليغ استمد الشاعر معانيه من قصة مريم (عليها السلام) فالقرآن الكريم له " اسلوبه الخاص الذي يصور المعاني للمتلقي ، ويمثّلها لمخيلته عن طريق التوسل بصور حسيّة ، او بلغة المنظور والمشاهد العيني "([23])

ويستمر الشاعر في ايجاد صوره الشعرية وهذه المرة يجعل من ذاته عزم شمعهْ في اشارة واضحة الى النور الخارج من الشمعه ، فضلا عن دلالة ثانية يشتمل عليها هذا التشبيه تكمن في ان هذا العزم قابل للنفاد كما ان الشمعة تحترق وبالنتيجة ينطفئ ضوؤها ويخفت ،واخيرا يقر الشاعر ان العزيمة والصبر لا يمكن لها مقاومة العواصف الهائجة نتيجة لكثرتها ودوامها .

ومن الصور الذهنية التي جادت بها قريحة الشاعر قاسم الشمري في قوله مستعينا بالاقتباس الاشاري لقصة مريم (عليها السلام) في قصيدة تحمل عنوان (مقام العشق) جاء فيها :

لا تدع سري بلا هيبتهِ
مثلما يمشي على الماءِ ظمي
فصلاةُ العشق طقسٌ شاحبٌ
دون نزفٍ ووضوءٍ بدمِ
انا احتاجك سكراً صاحياً
حاجة الجذع لكفٍ مريمي(24)

فالشاعر هنا يوظف مخيلته الشعرية للإفادة من التعبير القرآني بإيجاد العلاقة بين النخلة ومريم (عليها السلام) للوصول الى صنع صورة ذهنية يتبين من خلالها حاجة الجذع لكف مريم عليها السلام والشاعر هنا قلب الفكرة لان الاصل هو ان مريم هي التي كانت محتاجة الى النخلة وليس العكس والغاية كانت اظهار الرحمة والعطف المتجذر في شخصية العذراء عليها السلام .

2- الرمز ودلالته

افاد شعراء النجف كثيرا من النصوص القرآنية في عمليه توظيف الرمز ودلالته الشعرية على المعاني التي ينشدونها في قصائدهم الشعرية ، ويكشف توظيف الرمز عن دلالة عميقة ، خاصة عندما يرتبط الامر بتوظيف القصة القرآنية وامكانياتها العالية في اشتقاق المعاني الشعرية ، وقد اراد شعراء النجف التعبير عن ثقافتهم الدينية والخزين المعرفي الذي افادوه من البيئة المشبعة بروح الدين ، من هنا وجدنا الاثر القرآني يتجلى في قصائدهم فكان اغلبهم يوظف الخطاب القرآني بطرق مختلفة ويمكن القول انهم ارادوا " الدخول في علاقة مباشرة مع القرآن الكريم ، باجتزاء بعض آياته وتراكيبه بصورة كلية ، او جزئية " (25) ويعد الشاعر وسام الحسناوي احد الشعراء الذين وظفوا الرمز في قصيدة اسماها الشاعر (كتابة رسالة) نذكر منها قوله :

ابحثُ عن ولادة
ولادةٍ جديدةٍ من رحمِ الإبادة
وتارةً عن المسيحِ والصليبِ والحياةْ
عن عالمٍ يكمنُ في سؤالِ عالمِ الممات
ومريمَ العذراءْ
والحبِ والنساءْ (26)

فالرمزية عند الشاعر تبدأ من عنوان القصيدة الذي اشار اليه (بالرسالة) وبعدها يستمر الشاعر في سرد احداثه التي استهلها بالبحث عن ولادة ، وهنا يأتي دور الرمز في تكثيف الدلالة الشعرية ، فالشاعر يبحث عن الولادة بين الركام الذي سماه بالإبادة ، وهي تحمل معاني الفناء والموت ونهاية كل شيء ، ليربط الاحداث بالسيدة مريم العذراء التي تمثل عند الشاعر حياة جديدة تمثل الارادة القوية التي تقهر الصعاب وتتغلب عليها اذا الشاعر هنا يقارن بين معاناة مريم ومعاناة الإنسان المعاصر تحت ظلم المجتمع . ويتخذ الشاعر قاسم الشمري من شخصية مريم العذراء عليها السلام رمزا للدلالة على تحمل الالم والصبر على الشدائد والمحن ورد هذا في قوله :

يا ربَّ ابراهيم
حتّام نجمعُ الطير ونُفرقُ ارواحنا
ليُتم ابراهيمُ كلماتهِ ؟
يا ربَّ مريم
الفُ مريم ولا رزق لها
يا ربَّ مريم
سُبيت مريم
وزكريا قائمٌ يصلى في المحرابِ
فمتى تبشره بيحيى
او برأسنا المقطوع ؟
لا فرق
فالموت هنا
طريقتُك الجميلةُ لتُخبرنا بغموض انك تُحبُنا (27)

لقد مزج الشاعر بين فلسفة الحياة والموت في قصيدته التي ضمنها كثيرا من الاسئلة الوجودية ، والشاعر يوظف الشخصيات الدينية المتمثلة بشخصية ابراهيم الخليل(عليه السلام) وشخصية مريم العذراء ، فالشاعر هنا " يعمد الى استدعاء البنية القرآنية واستضافتها في خطابه الشعري ، وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التحويرية للنص القرآني لفظا ودلالة ، حذفا وتوليدا او تكثيفا وتوسيعا "(28)

3- الانزياح اللغوي

لاشك في ان الشعراء هم امراء الكلام ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من التفنن بأساليب اللغة واعادة صياغة المفردات وفق ما يتطلبه المعنى الشعري ، لذا فهم لديهم القدرة على ايجاد علاقات جديدة بين الالفاظ الشعرية ، وهذا الامر بات يعرف بتقنية الانزياح الشعري التي تولد الكثير من المعاني ، وكان لشعراء النجف نصيب من هذه التقنية ومنهم الشاعر عادل الفتلاوي وذلك في قوله :

اهزُّ صبْري علّها مرْيمي
تحْملني كطفلها السّاجدِ
اسأله قلبي الذي عقّني
أنابضٌ من طرفٍ واحد ؟[29]

نلاحظ ان الشاعر يحاول تجسيم الاشياء المعنوية ليصبغ عليها صفة المحسوسات اذا استطاع الشاعر ان يستعير صفة الهز الى الصبر وكأنّ الصبر شيء مادي يشبه النخلة التي هزتها مريم العذراء لتساقط عليها رطبا ،راجيا من مريم ان تحمله كطفلها الساجد ، فالشاعر هنا يلجا الى الانزياح الدلالي باستعمال الكلمات في غير ما وضعت له لغاية فنيّة تتمثل في خلق صورة مؤثرة مستوحاة من القصة القرآنية للتعبير عن الحيرة وشدة الصبر وتحمل الالم .

اما الشاعر فاهم العيساوي فقد عرف ان الشعر "هو عملية تحول دائم وديناميةٍ لا تهدأ تفرضها نواميس الكون والوجود التي لا تهدأ"[30] لذا فهو يوظف الانزياح عند استلهام قصة مريم في قوله:

فتفطرت شفةُ السؤالِ تعطشاً
من اين يؤتى في الجفاف شرابُ
...
ثمّ ارتوت نفسي بكيف تساءلت
اهدي لمريم رزقها المحرابُ [31]

فالشاعر في هذه القصيدة يخرج عن المألوف والسبب غاية الشاعر من وراء هذا الاستعمال فهو هنا يخرج عن المعتاد وذلك في قوله (تفطرت شفة السؤال تعطشا) ، والمعروف ان السؤال ليس له شفة حتى تتفطر تلك الشفة تعطشا من كثرة السؤال، والذي حصل ان الشاعر استعار الشفة من الانسان ليعطيها للسؤال وكان السؤال اصبح رجلا عاقلا له الامكانية ان يسأل وان يعطش كما يعطش الانسان، وهذا الاستعمال يحسب للشاعر ويدل على قدرته على التلاعب بالألفاظ لغرض ايجاد صياغات جديدة . ويستمر الشاعر في خلق انزياحات جديدة من خلال استثمار قصة مريم (عليها السلام) وهدف الشاعر هو خلق عنصر الدهشة عند المتلقي وكسر افق التوقع عنده فضلا عن تحريك عنصر التأمل والتفكير في الصياغات التي فيها نوع من الخروج على المألوف وذلك في قوله (اهدي لمريم رزقها المحرابُ) فالأصل هو (اهدى المحراب لمريم رزقها) فالشاعر هنا يلجأ الى اسلوب التقديم والتأخير وهو نوع من الانزياح الذي يخرج فيه الشاعر عن قواعد اللغة المألوفة ويحاول اعادة بناء الجملة بطريقة مغايرة من خلال التقديم والتأخير الذي يقوم بعملية " خرق هذا الترتيب وإشاعة فوضى منظمة بين ارتباطات تلك الوحدات "[32] .

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة مع قصة مريم العذراء (عليها السلام) وكيفية استلهامها من قبل شعراء النجف نود ان نذكر اهم النتائج التي توصلنا اليها وكما يلي :

1- استطاع شعراء النجف بما يمتلونه من امكانيات فنيّة على تحويل قصة مريم (عليها السلام) إلى رموز كونيّة تلامس الإنساني والديني معًا، مما جعلها حية في الذاكرة الجمعية عبر العصور ، هذه الصور لم تكن مجرد زخارف أدبية، بل وسيلة للتعبير عن الإيمان ، والألم ، والأمل في عدالة السماء.

2- اظهر البحث الاثر الكبير للقرآنية المتمثلة بتوظيف القصة حتى صارت تمثل سمة فنيّة في الشعر النجفي المعاصر الذي استطاع عن طريقها ان يولد نصوصا ابداعية تركت اثرها الكبير على المتلقي وان هذا الشعر عالج مختلف مواضيع الحياة ومن اهمها الاشارة الى الواقع المتردي والانتفاض على الظواهر السلبية التي اصابت المجتمع.

3- لاحظ البحث ان اغلب شعراء النجف الذي استلهموا قصة مريم عليها السلام كانوا يلجؤون الى توظيف التناص الاشاري، ربما لانهم وجدوا ان هذا النوع من التناص هو الاكثر ابداعا من غيره، فضلا عن طبيعة القصيدة الشعرية فقد كانت اغلب قصائدهم من الشعر الحر او قصيدة النثر والتناص الاشاري ينسجم اكثر مع هذا النوع من الشعر لأنه غالبا يعتمد طريقة اللمحة الدالة والاشارة وترك التفاصيل الى القارئ الذي يستطيع ان يتأمل في النص ويستنبط المعاني الشعرية .

قائمة المصادر والمراجع :

- أخطاء ليستْ مُتاحةً لمنْ يَشاء، قاسم الشمري ، دار تموز ديموزي ، دمشق ، ط1 ، 2018م .
- الاشجار لا تحسن الموت ، فاهم هاشم العيساوي ، اصدارات بيت الشعر في النجف الاشرف ، ط1 ، 2011م .
- الانزياح وآليات التطبيق في الشعر النسوي الجزائري المعاصر، د. يوسفي يوسف ، جسور المعرفة ، المجلد 7، العدد3، 2021م .
- إليّ .. خارجاً منّي ، عادل الفتلاوي ، اصدار اتحاد الادباء والكتاب في النجف الاشرف ، ط1، 2022م .
- تفسير الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ -1997م .
- التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، عدنان حسين قاسم ، الدار العربية للنشر ، القاهرة ، 2000م .
- تميمة العشق ، ضرغام البرقعاوي ، مكتبة طريق المعرفة ، النجف الاشرف ، ط1 ، 2023م .
- التناص الادبي والديني في شعر وليد الصراف ، جاسم محمد احمد العبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط ، كلية الآداب والعلوم ، 2016م .
- التناص الديني في شعر يوسف الخطيب ، عمر عتيق ، مجلة المجمع ، العدد السادس ،1433هـ - 2012م .
- خصائص القصة الاسلامية ، مأمون فريز جرار ، دار المنارة ، جدة ، ط1 ، 1408هـ-1988م .
- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري ،ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1406هـ .
- سرابيل الوجع ، كاظم عنوز ، D4 للطباعة والتصميم ، النجف الاشرف ، ط1، 2016م .
- سيكولوجية القصة في القرآن ، د.التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1971م .
- الصورة الادبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبد التواب ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، 1995م .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط3،1992م .
- غريب على قارعةِ الذكرياتِ ، وسام الحسناوي ، المركز الثقافي العراقي بلندن ، دار الحكمة – لندن ، ط1 ، 2013م .
- فكرة في رأس مقطوع ، اسماعيل الحسيني ، دار تأويل للنشر والترجمة ، السويد ، ط1 ، 2019م
- القصص القرآني حقيقته وخصائصه واغراضه ، د. علي جمعة ، مقال منشور على الموقع الالكتروني ،2015م .
- القرآن والقصّة الحديثة ، محمد كامل حسن ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1970م .
- القرآنية في شعر الرواد ، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الابداعي ، احسان الشيخ حاجم التميمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1، 2013م .

- القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1964م .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم ابن منظور، بيروت ، دار صادر ، 2000م .
- الممسكُ بالريح سيرة غير مكتملة لسليل الجهات ، قاسم الشمري ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط1 ، 2022م .
- الممسكُ بالريح سيرة غير مكتملةٍ لسليل الجهات ، قاسم الشمري ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط1 ، 2022م .
- مفاهيم شعرية دراسة مقارنة في الاصول والمنهج والمفاهيم ، حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الحمراء ، ط3، 1994م .
- نهر يحسن السكوت عليه ، مهدي النهيري ، مركز تبارك لرعاية الابداع وتكريم الانجاز، القطيف المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى ، 2015م .

هوامش البحث :

[1]- لسان العرب ، محمد بن مكرم ابن منظور، بيروت ، دار صادر ، 2000م :74/7 ، سورة القصص الآية 11
[2] - القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1964م :52
[3] - القرآن والقصّة الحديثة ، محمد كامل حسن ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1970م:9
[4] - الصورة الادبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبد التواب ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، 1995م :92
[5] - لغرض الاطلاع على المزيد حول هذا الموضوع ينظر : القصص القرآني حقيقته وخصائصه واغراضه ، د. علي جمعة : 4 وما بعدها .
[6] - ينظر : خصائص القصة الاسلامية ، مأمون فريز جرار ، دار المنارة ، جدة ، ط1 ، 1408هـ-1988م: 94
[7] - سورة آل عمران الآية : 37
[8] - ينظر : تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي :279/3.
[9] - سورة مريم الآيتان: 27-28
[10] - سورة مريم الآيات: 30-33
[11] - دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري ،ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1406هـ :291
[12] - فكرة في رأس مقطوع ، اسماعيل الحسيني ، دار تأويل للنشر والترجمة ، السويد ، ط1 ، 2019م :54-55
[13] - سورة مريم الآية 4
[14] - التناص الديني في شعر يوسف الخطيب ، عمر عتيق ، مجلة المجمع ، العدد السادس ،1433هـ - 2012م : 200
[15] - نهر يحسن السكوت عليه ، مهدي النهيري ، مركز تبارك لرعاية الابداع وتكريم الانجاز ، الطبعة الاولى ، 2015م ،القطيف المملكة العربية السعودية :71-72
[16] - سورة مريم الآية :25
[17] - سرابيل الوجع ، كاظم عنوز ، D4 للطباعة والتصميم ، النجف الاشرف ، ط1، 2016م : 120
[18] - سورة الانبياء الآية 85
[19] - تميمة العشق ، ضرغام البرقعاوي ، مكتبة طريق المعرفة ، النجف الاشرف ، ط1 ، 2023م :7
[20] - ينظر : سيكولوجية القصة في القرآن ، د.التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1971م: 9
[21] - التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، عدنان حسين قاسم ، الدار العربية للنشر ، القاهرة ، 2000م :16
[22] - أخطاء ليستْ مُتاحة لمنْ يَشاء ، قاسم الشمري ، دار تموز ديموزي ، دمشق ، ط1 ، 2018م :11.
[23] - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط3،1992م :270

[24] ـ الممسكُ بالريح سيرة غير مكتملة لسليل الجهات ، قاسم الشمري ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط1 ، 2022م :100

[25] ـ التناص الادبي والديني في شعر وليد الصراف ، جاسم محمد احمد العبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط ، كلية الآداب والعلوم ، 2016م : 77

[26] ـ غريب على قارعةِ الذكرياتِ ، وسام الحسناوي ، المركز الثقافي العراقي بلندن ، دار الحكمة – لندن ، ط1 ، 2013م :16

[27] ـ الممسكُ بالريح سيرة غير مكتملةٍ لسليل الجهات ، قاسم الشمري ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط1 ، 2022م : 46.

[28] ـ القرآنية في شعر الرواد ، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الابداعي ، احسان الشيخ حاجم التميمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1، 2013م: 45

[29] ـ إليّ .. خارجاً منّي ، عادل الفتلاوي ، اصدار اتحاد الادباء والكتاب في النجف الاشرف ، ط1 ، 2022م :66

[30] ـ الانزياح وآليات التطبيق في الشعر النسوي الجزائري المعاصر ، د. يوسفي يوسف ، جسور المعرفة ، المجلد 7، العدد3، 2021م : 451

[31] ـ الاشجار لا تحسن الموت ، فاهم هاشم العيساوي ، اصدارات بيت الشعر في النجف الاشرف ، ط1 ، 2011م : 88

[32] ـ مفاهيم شعرية دراسة مقارنة في الاصول والمنهج والمفاهيم ، حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الحمراء ، ط3، 1994م: 117

Inspiration for the story of Mary (peace be upon her) in contemporary Najaf poetry

Assistant Professor Nyan Hussein Abdullah
College of Dentistry / University of Kufa

Abstract:
The Holy Quran has greatly influenced poets, and this influence has been evident since its revelation until the present day. However, the process of quoting from the Quranic text has varied according to the poet's culture and the environment in which they live. The Quranic story is one of the most captivating poetic themes, and poets have sought to utilize it in various poetic forms. Our research examines the story of the Virgin Mary, peace be upon her, and its influence on contemporary Najaf poetry. Poets have benefited from the story through allusive intertextuality by incorporating the Quranic meanings it contains into their poems. The poets had a goal, including embodying the content of patience, willpower, and endurance of pain in the character of the Virgin Mary. In addition, the poets have benefited from the artistic aspects of the story, which is reflected in their poems by producing artistic images characterized by novelty and innovation.

Keywords: The Holy Quran, the story of Mary, Najaf poetry